

تكوين النص الشعري عند

"حازم القرطاجنى"

للدكتور

حسن احمد البندارى

## تكوين النسي الشعري

عند حازم القرطاجني

يتردد في المصادر الأدبية العربية القديمة، عدد من الأفكار النقدية التي تعنى بفحص بناء النسي الشعري، وتلفت النظر الى تكوينه، من حيث التماس العناصر المشكلة لمرحلتين اساسيتين من مراحل انشاء القصيدة. وهما التخلق المسبب، والتنفيذ الواعي، علي نحو ما يظهر عند نقاد المشرق كبشر بن المعتز في " صحيفته"، والجاحظ في " البيان والتبيين" وابن قتيبة في " الشعر والشعراء"، وابن طباطبا في " عيار الشعر" وابن سنان الخفاجي في " سر الفصاحة" والقارابي في " قوانين صناعة الشعراء"، وغيرهم. وعند نقاد المغرب مثل ابن عبد ربه في " العقد الفريد"، وابن رشيق في " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" وحازم القرطاجني في " منهاج البلغاء وسراج الأدباء".

وفي تقديري أن الحديث عن نظرة لهذا الناقد أو ذلك في التسي الشعري بل النسي الأئبي عامة ينبغي أن يخضع لما يسمى بـ " القراءة الفاحصة" (١) التي تقصد في جوهرها الى تغليب مثل النسي النقدي أمام عيني القاصي، واستنطاقه بوعي نقدي خاص به عن طريق قراءة متعمقة تكشف عن العلاقات الكائنة فيه، وتضيء جوانبهم الداخل اضافة تكشف

---

(١) الدكتور محمود الربيعي :- في نقد الشعر، دار المعارف بمصر ط ١٩٧٣، ومقدمة كتاب حاضر النقد الأئبي (مقالات في طبيعة الأئبي) ص ١٢ - ١٣ دار المعارف ، ١٩٧٥.

عن معناط الألبى " وبثقافة " لا تعلن عن نفسها فى نحو مباشر فج،  
وانما تعلن عن نفسها فى صورة فهم افضل للنص الألبى ( والنقدى ) أو  
منحى لندق فى تحليله، أو تقدير أعدل به" (١) . وبذلك لا تطفـو  
المعلومات النقدية فوق النص موضع الدراسة، بل يجب أن تتخرط فى  
نسيجه، وتظهر آثارها فى كيفية التناول وطريقة الفحص.

وانا كان لكل نص نقدى ناضج — وكذلك كل نص ابداعى يتصف بهذه  
الصفة — صوته المتميز وخصوصيته المنفردة، فإنه من غير الطبيعى أن  
تستخدم القواعد الجاهزة الحورثة، والمبادئ المقررة سلفا استخداما تغليبيا  
توصف وتحلل ظواهر النص فى ضوءها ، لأن الناقد الحق هو الذى يجتهد  
فى ابراز خصائص النص المحروس وتعيين امكاناته دون ان يأخذه الحديث  
فى غيبة منه، وهو الذى كما يقول : مدليتون مري : " يتوارث احساسا  
بأن الصوت الداخلى هو الطلج الذى ينبغى أن يلجأ اليه آخر الأمر" (٢)  
ذلك ان أهمية المبادئ العامة والتقاليد الثابتة والقواعد المقررة فى النقد،  
ترجع الى كونها مرتكزات وثوابت، ولكنها لا تغنى عن ذلك الصوت الحميم  
ولن تمنع سواها. مثل " وما حاجة الانسان للمبادئ وعنده الصوت  
الداخلى؟" (٣) ، الذى يكون أساس ميل هذا الناقد أو ذاك الى نص بعينه

---

(١) الدكتور محمود الربيعى (الناقد العربى فى مفترق الطرق) مجلة

العربى الكويت ص ١٢، فبراير ١٩٨٦.

(٢) ت.س — البيوت . مقالاتفى النقد الألبى ترجمة د/لطيفة الزيات ص٢٦

الانجل المصرية.

(٣) السابق ص ٣٠.

ما يجعله في حالة نشاط ايجابي " صادق " ، متعدد التساؤل في صدق أيضا ، من جهة أن " الانسان ' الذي يسأل نفسه في صدق يسمع أخيرا صوت الله " (١) على حد تعبير ت.س. اليوت : فهذا الاحساس بالصوت الداخلي، أو توظيفه حال عملية الفحص، هو الذي سيفرض نظريته أو فلسفته الخاصة حينئذ في التكوين والبناء، حتى ولو تلاقى مع جهود صاحبه جهود نقاد آخرين في بحث ذات الظاهرة.

- ٢ -

وإذا احتكم الدارس الفاحص الى هذه " النظرة الخاصة " حال الوقوف على آراء نقاد المغرب مثل ابن عبد ربه، وابن رشيق، فإنه سيجدهم لا يكادون يختلفون مع نقاد المشرق امثال : الجاحظ وابن قتيبة وابن طباطبا وغيرهم، ولكنه سيجد اختلافا بين مقاله هو "هولاء" وهو "هولاء" في تكوين منعة الشعر، وما قاله ناقد متأخر عنهم هو حازم القرطاجني (-٥٦٨٤هـ) وقد يراهم متفقين معه في الروية، ولكن جوهرها سيظل - رغم هذا - محتفظا بالخصوصية والتميز.

وتتمثل خصوصية رويته في أنه بحث منعة النسي في تكوينيين أساسيين، يشتمل كل منهما على " خبرات " متميزة، وان كانت متصلة مترابطة فيما بينها.

---

(١) السابق ص ٢٨ ، والدكتور ابراهيم حمادة : مقالات في النقد الأثني ص ١٧ دار المعارف.

" فالتكوين الأول " يضم أربع خبرات للشاعر يمكن أن نطلق عليها ابتداءً " الخبرات المهيئة الممهدة " أو قوى تخلق النص معنى ولفظاً وتراكيب قبل صياغته . وهى أصيلة وأساسية من حيث إنها تتعاون فى اتصال وتعاقب على جعل الشاعر ينطلق انطلاقاً صحيحاً فى التعبير عن تجربته المقصودة . فالخبرة الأولى هى " الخبرة بالبيئة " التى ينشأ وينمو فيها الشاعر . وقد عناها حازم القرطاجنى بقوله : " النشء فى بقعة معتدلة الهواء حنة الوضع ، طيبة الطاعم ؛ أنيقة المناظر ، ممتعة من كل ما للأغراض الانسانية به علة " (١) مفيداً أن ثمة عوامل ومقومات يجب أن تتدخل فى اختيار البيئة ذات تأثير " فيولوجى " أو مادى ، مثل اعتدال الطبيعة الحافلة بأنواع الغذاء وألوان الطعام الجيد ، فينتفى حينئذ الحرمان المادى ، مما يجعله وذلك متفرغاً ومهيئاً من الناحية (السيكولوجية) أو النفسية لرؤية مظاهر الجمال ، وورد أدلة الإبداع الطبيعى المحيطة به . وهذا بدوره يؤدى الى الكشف عن المعانى الشعرية التى تعلق بطاقة الخلق لديه وهى الطبع أو الموهبة الفطرية المتمكنة فى نفسه .

ومن البين أن مجموع هذه المؤثرات المتعاقبة تؤثر فى الشاعر الناشئ جسمياً ونفسياً ، بأن تدركها حواسه ، وتعبئها نفسه ، ويخترنهما

---

(١) حازم القرطاجنى: منهاج البلغاء وسراج الأنبياء ، تقديم وتحقيق

محمد الحبيب بن خوجة ص ٤٠ - دار الغرب الإسلامى -

بيروت - الطبعة الثانية .

طبعه صوراً واضحة المعالم، وتكون قابلة للاستخدام والتوظيف حينها  
يستدعيها حال عملية صوغ الشعر في المستقبل، إذ إن قوة الطبع عندئذ  
هي (استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام . . . .) فإذا أحاطت بذلك علماً  
قويت على صوغ الكلام عملاً). (١)

كما أن مجموع هذه المؤثرات يمثل تهيئة تدفع: " طبع الناشئ"  
إلى الكمال في صحة اعتبار الكلام وحسن الرؤية في تفضيله وتقديره ومطابقته  
ما خارج الذهن به، وإيقاع كل جزء منه في كل نحو ينحى به أحسن  
مواقفه، حتى يكون حسن النثر مشبهاً حسن نثر المتكلم به" (٢) أي  
أن حصيلة هذه المؤثرات تؤدي إلى كمال قوة الطبع أو الوهبة المتمكنة،  
فينشأ عن هذا الكمال عمل من الشاعر ينحصر في دقة اختيار اللفظ الملائم  
للمعنى أو الغرض الشعري، وصحة التركيب وسلامته، والتوزيع العادل للقيم  
الجمالية على وحدات الصياغة وأجزائها، قصداً إلى إحداث التأثير في المتلقى.

ولكن حازماً ما يلبث أن ينص على أنه ليس من الضروري أن يكون  
هذا النوع من الخبرة سبباً في نضج قوة الطبع الدافعة إلى حسن الصياغة  
وسلامتها، ذلك لأنه " قد تكون النشأة حسنة على غير هذا النحو وذلك  
بأن تستجد الأهوية للناشئ، وترتاد له مواقع المزن ومواضع الكلام والنبات

---

(١) السابق ص ١٩٩

(٢) السابق ص ٤٠ - ٤١

النفى ، ولا يخيم به فى الموضع الا ريثما يصوح كلوه ويغيبى ماوه" (١)  
أى أن مقومات الطبيعة الحسنة من اعتدال الجو وجريان الماء الصافى  
ووفرة الخضرة الممتعة للنظر ومثول ألوان الغذاء الجيد، لاتمثل قاعدة  
ثابتة لانفاج الطبع ( أو لتتميم الموهبة ) ، فقد لاتؤثر هذه المقومات فيه  
بينما قد تنهض بذلك مقومات طبيعية ضادة لها كحرارة الجو أو برودته  
بدلا من اعتداله، وجفاف الزرع والنبات بدلا من ترعرعه وازدهاره، وتقضى  
الماء أو انعدامه بدلا من تدفقه وجريانه.

ومعنى هذا ان الباعث على صوغ الشعر ليس عادة ثابتة، بل ان  
الباعث عليه مجرد حالة توافق عطية الابداع، التى قد تختلف من شاعر  
الى آخر. وقد سبق ابن قتيبة ( - ٢٧٦هـ ) حازما فى طرق هذه  
الناحية بذكره أن كثير عزة كان اذا صعب عليه قول الشعر (بالرباع  
المخلية ، والرياض المكشبة ) (٢) كما سبقه أيضا ابن رشيق ( - ٤٥٦هـ )  
بقوله فى الفرزدق ( كان اذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته، وطاف  
خاليا منفردا وحده فى شعاب الجبال ويطون الأودية والأماكن الخريبة  
الخالية فيعطيه الكلام قياه" (٣) وبقوله فى أبى نواس : " قيل

---

(١) السابق ص ٤١ تستجد : تتحول ميوله، لا يخيم به : لا يجذب

اليه . يصوح : يببى ويجف : يغيبى : ينقص .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . تحقيق الأستاذ احمد محمد شاکر

ص ١٩٧٧ .

(٣) ابن رشيق : العمدة . تحقيق الأستاذ محمد يحيى الدين عبدالمعتمد

٢٠٧/١ - دار الجبل - لبنان، بيروت . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .

لابي نواس : كيف عمك حين تريد أن تصنع الشعر؟ قال : أشرب حتى  
إذا كنت أطيب ما أكون نفا بين الماحى والسكران صنعت وقد داخلتنى  
النشوة والأريحية" (١) .

فمن البين أن لكل شاعر من هؤلاء حالة خاصة لا تتفق مع الحالة  
الخاصة بالآخر . وكل واحدة منها تمثل مشيراً لديه قادراً على صوغ تجربته  
مهما كانت طبيعة هذه الحالة ، سواءً أكانت مقبولة مستانقة عند غير الشعراء  
أم كانت ممجوجة منفردة تأبأها نفوسهم وأنواقهم . ولعل هذا المعنى يفسر  
قول هؤلاء النقاد ، وقول سبندر (Spender) عند

حديثه عن صنعة القصيدة (The Making Of A Poem)

ان الشاعر الانجليزي شيلر (Schiller) اعتاد أن يشم رائحة التفاح  
الفاقد ، في أثناء نظم القصائد . (٢)

وتتوافق هذه الأفكار مع تعليل حازم لهذه الظاهرة بقوله : " فان  
الطباع الناشئة ايضاً على هذه الحال وان لم تكن فى الأقاليم المعتدلة  
جارية مجرى تلك فى سداد خاطر والتبنيه لما يحسن فى هيات الألفاظ  
والمعانى وما لا يحسن" (٣) مريداً بهذا التفسير التأكيد على أن مظاهر

---

(١) السابق : ٢٠٧/١ .

(٢) الدكتور يوسف حسين بكار : بناء القصيدة فى النقد العربى القديم  
فى ضوء النقد الحديث ، دار الاندلس ، بيروت الطبعة الثانية ،

١٩٨٣ - ص ٦٦ .

(٣) منهاج البلاغ وسراج الأنبياء ص ٤١ .

" البيئات الطبيعية " المعتدلة لها دور فى تشكيل طاقة الخلق عند الشاعر ، وعلى أن البيئات الفاقدة لهذه المظاهر تتدخل أيضا بالإيجاب فى تشكيله وتميمته . ولكن ثمة خاصية تميز طاقة شعراء البيئات الثانية ، وهى " الاختصاص " بصواب الفعل ذهنى ، الذى يجعل الشاعر قادرا على التمييز بين الجيد والردى ، من المعانى والألفاظ عند الصياغة .

والخبرة الثانية هى (الخبرة اللغوية) التى تكتسب عن طريق (الترعرع بين الفصحاء الألسنة ، المستعطين للأناشيد ، المقيمين للأوزان) (١) أى ضرورة وقوف الشعراء الناشئين على الأناء اللغوى الفصح الصادر عن فصحاء بيتهم ، والاصفاء الدقيق الى ماينشدونه من أشعار لهم أو لتغيرهم ، تدريبا لأنهم على جوهر العمل الشعرى وهو ( الوزن ) . فهذه الخبرة تعتبر مهيتا ضروريا بوجه قوة طبع الناشئ (لحفظ الكلام الفصح وتحصيل المواد اللفظية ، والمعرفة باقامة الأوزان) (٢) أى أن فعالية قوة الطبع الخلاقة وهن بتحقيق اجراءين متصلين من قبل الشاعر الناشئ ، هما : حفظ المادة اللغوية واستيعاب أساليبها ، فيتم له حينئذ الثراء اللغوى الذى يمكنه من التعرف على أساس الصنعة الشعرية وهو الوزن الذى ينبغى أن يوظف توظيفا ملائما للمعنى المستهدف .

---

(١) السابق : ص ٤١

(٢) السابق : ص ٤١ .

والخبرة الثالثة هي (الخبرة النفسية) التي تشمل على احساس بفعل  
آني هو : ( الاطراب ) واحساس بفعل مستقبل هو : (الآمال) . فيجب ان  
يدرب الشاعر الناشئ على الاحساس بالاطراب أو بما هو كائن حاضر ليستوعب  
مشرات الحنين النفسى الى من يحبه من البشر والى ما يحبه من غيرهم  
وليتعرف على الاحساس بالانفعال الناتج عن الفراق والحرمان . وأن يدرب على  
الاحساس بالآمال ، أو بما هو متوقع حدوثه ، فيتعرف على كيفية توجيهه

ورغباته وسيله ، تجاه النافع من الأمور الممكنة والمتوقع وقوعها فى المستقبل ،  
والعمل على تحقيقها على أساس تلك الرغبات ، يقول فى ذلك : "وكانت  
البواعث تنغم الى أطراب وآمال ، وكان كثير من الأطراب انما يعترى أهل  
الرحل بالحنين الى ما عهدوه ومن فارقوه ، والآمال تعلق بخدام الدول  
النافعة" . (١) فكلما الاحساس يعد مظهرا لبواعث قوية تضاف الى  
الطاقة الخلاقة عند الشاعر ، فتجعله يبعث شعره صياغة حنة .

ولا يمنع هذا التقسيم الشائى للبواعث من افتراض وجود قسم ثالث ،  
أو عدد من الأقسام لم يشر اليها . حازم القرطاجنى ، فئمة حالات كالحزن  
والأسى والشجن والغضب والقلق . فى مقابل الاطراب ، ومثل حالات  
الأسى والقنوط والتعاسة والاحباط والخوف ، فى مواجهة الآمال ، وهذه كلها  
بواعث تتضمنها الخبرة النفسية . ولكن من الممكن القول إن حازما لم يفته

(١) السابق : ع ٤١ - ٤٢ .

ذلك، فربما قصد أن هذه البواعث المتروكة ذكرها، وغير المنصوص عليها في  
نصه النقدي - تتدرج تحت الوجه السلبي لكلا التسمين •

الخبرة الرابعة وهي ( التوثيقية ) ، التي تعنى ضرورة افادة قوّة  
الطبع بالثقافة المتمثلة باللفظ المتعمل ، وبالمعرفة المتعلقة بالمعنى  
المصوغ ، حتى يمكن ايجاد " الاطمئنان " النفسى لدى الشاعر والمتلقى معا .  
ذلك انه ( لما كان القول فى الشعر لا يخلو من أن يكون وصفاً أو  
تشبيهاً أو تاريخاً - احتاج الشاعر ان تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي  
من شأن الشعر أن يتعرض لوصفها ، ولمعرفة مجارى أمور الدنيا وأنحاء  
تصرف الأزمنة والأحوال ، وأن تكون له قوة ملاحظة لما يناسب الأشياء  
والتقايى الواقعة من أشياء أخر تشبهها ، وقضايا متقدمة تشبه التي فى  
الحال ) (١) أى أن من الضروري بعد حصول الشاعر على الخبرات الثلاث  
( البيئية - اللغوية - النفسية ) المتقدمة أن يقف على الأدوات أو المعرفة  
الواضحة ب ( العلوم المتعلقة بالألفاظ والعلوم المتعلقة بالمعاني ) (٢) حتى  
تكون معرفته بالعلمين ركيزته التي تحقق للمعاني الشعرية الصحة  
وتجنبها الوقوع فى الخطأ ، ولالألفاظ الدقة والسلامة ، والإحكام ، فيستمد  
منها الوصف الملائم ، والتشبيه المناسب والمعلومات الحائبة • وتعدّه بدورها

---

(١) السابق : ص ٤٢

(٢) السابق : ص ٤٠

- بالقدرة على " التمييز بين المتشابهات " من القضايا والأشياء فتتجوز صيغه الشعرية من الخلط والاضطراب. (١)

ومن الملاحظ أن هذه الخبرات الأربع تلتقى على هدف واحد هو العمل على تكوين (الطبع الجيد) أو الموهبة الناضجة، ذلك ان تعبير الشاعر عما اختزنه طبعه من خبرات طبيعية ولغوية ونفسية وتوثيقية (تثقيفية)، يحتاج الى وعى بخمائص المعانى التى يزعم (الشاء—) استخدامها بما تتطوى عليه من مشرات مختلفة، والى وعى بتقاليد الألفاظ التى تناسب هذه المعانى من حيث الملاءمة والتشابه بين الموقف المعنوى والصورة اللفظية.

وقد ربط حازم القرطاجنى تحقيق هذه الخبرات " بطيب البقعة

---

(١) فكرة "التمييز بين المتشابهات" قريبة من فكرة محمد بن سلام الجمعى فى كتابه " طبقات فحول الشعراء" الخاصة بالحث على ضرورة وجود الخبير المنرب الذى يفرق بين المتشابهات فى مجالات الأصوات والألوان والعينيّات المحسوسة، فى مقابل الناقد المتخصص الذى يلاحظ الفروق بين الأشعار الجيدة والأشعار الرديئة. وان كانت فكرة حازم القرطاجنى - هنا - خاصة بصميم العناية الابناعية. وعلى أية حال فان هدف الفكرتين واحد وهو: اضافة الحس النقدى الى طاقة الشاعر المبدع.

ينظر: طبقات فحول الشعراء تحقيق الاستاذ محمود شاكى ، ط .  
المدنى ١٩٧٤، ٥-٧ . والدكتور محمود الربيعى: نصوص من النقد العربى - دار المعارف، الطبعة الاولى: صفحات ١٠، ١١، ١٢، ١٤.

وقصاحة الأمة، وكرم الدول، ومعاودة التثقل والرحلة" (١)، قاصداً بذلك الربط بين أن البقعة أو البيئة الطيبة التي نشأ الشاعر فيها واكتمل، تعينه على الوعي بالمعاني والتفنن فيها: " فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة" (٢)، ومخالطة أهل الفصاحة تجعل صابرا في اختيار الألفاظ المناسبة، وتشجيع الدولة له بالمال والرعاية يدفعه على الاجادة، والحرمان من الأحباء وفراقهم يدعو الى التفنن في التعبير عن ألم الفراق.

والتكوين الثاني: يختص بتنفيذ صنعة الشعر. فقد بحث حازم القرطاجني قوى هذه الصنعة أثناء عمل الشاعر في القصيدة من زاويتين: الزاوية الأولى هي التنبيه على أهمية القوى المشكلة لطاقة الشاعر الخلاقة وهي القوى " الحافظة - المائزة - والمانعة" أما عن " القوة الحافظة" فقد حدد مفهومها ودورها في التشكيل بقوله: " أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازا بعضها عن بعض، محفوظا كلها في نصابه، فإنا أراد مثلا أن يقول عرضا ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك

(١) منهاج البلاغ، وسراج الأدباء ص ٤٢.

(٢) السابق: ص ٤٢، من الواضح أن ربطه براعة الشاعر في توظيف المعاني بالبقعة الفاضلة المتميزة بالجمال يمثل اتجاهاً عالياً في عملية الإبداع، ولكنه لا يشكل قاعدة ثابتة ملزمة، ذلك أن للبقعة المضادة الرديئة دورها أيضاً في الاجادة والبراعة، وهناك من الشعراء من اثارته المناطق الجرداء والبيئات الخالية من الجمال، مثل كثير والفرزدق كما تبين.

وجد خياله اللائق به قد أهبت له القوة الحافظة بكون الأشياء مرتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود . فإذا أجال خاطره في تصورهما فكأنه اجتلى حقائقهما . وكثير من خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور . فإذا أجال خاطره في أوصاف الأشياء وخیالاتها اشتبهت عليه واختلطت ، وأخذ منها غير ما يليق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه . الى ذلك" . ( ١ )

ويتبين من تحديده مفهوم هذه القوة كـ أنها ليست الا الذاكرة الواعية التي تخزن ما يقع عليه بصره من صور متنوعة ، وما تشعر به نفسه من معان مختلفة تثيرها هذه الصور . حقا ان هذه الخاصية غير مقصورة على الشاعر ، اذ هي انسانية عامة يشترك فيها الناس جميعا ، ولكنها لدى الشاعر خلاقة أو صانعة أخيلة فنية ، من حيث قدرتها على مد وعيه بصور الأشياء مرتبة - لا الأشياء نفسها - كما وقعت في عالم الواقع والحقيقة ، وأثناء استهدافه الغرض المعين ، كالمديح والنسيب مثلا كـ فيتم له من ثم الوضوح والانتظام ، فلا تختلط عليه الصور المخزونه ولا تتشابه . وفي هذه الحالة يكون الشاعر " كالناظم الذي تكون عنده أنماط الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده ، فإذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء رعد الى الموضع الذي يعلم أنه فيه ، فأخذه منه ونظمه

وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فانه يقصد بملاحظة  
الخطر منها الى ما شاء فلا يعدوه" (١) وتهدف المقابلة بين ناظم  
الجوهر الخبير المتذكر لمواضع جواهره، والشاعر الشديد الحفظ - التأكيد  
على أهمية صفاء" الذاكرة الواعية"، التي تعين كلا منهما على الاختيار  
الصحيح فكما أن هذه القوة تجعل الجواهرى عالما بأماكن جواهره المحفوظة  
فينتقى منها فى سهولة لينظمه فى العقد على نحو من التلاؤم والمتناسب  
فانها كذلك توجه الشاعر الى " المخزون " من المعانى والألفاظ والصور،  
فيلتقط منه ما يتوافق مع غرضه الذى يقيم عليه شعره فى ترتيب وتنظيم  
بميزان خياله حينئذ بالصفاء.

وإذا كانت قوة الذاكرة سببا فى صفاء الخيال الشعرى، فان "الخيال  
المعنكر" أو غير الصافى لى الا ثمرة ذاكرة ضعيفة وحافظة واهيئة.  
ويشير حازم القرطاجنى الى ذلك بقوله " والمعنكر الخيالات كناظم تكون

---

(١) السابق ص ٤٣٠ تبدو هذه الفكرة قريبة جزئيا من فكرة عبد الله  
ابن المقفع، حيث تناول مسألة الجمع بين المتشابه والمتوافق فى  
عمل كل من ناظم الجوهر والأديب، فنس على أن عمل الأديب :  
" لى زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا  
ومرجانا فنظمه قلائد وسوطا وأكاليل، ووضع كل فى موضعه،  
وجمع الى كل لون شبهه ما يزيد به بذلك حسنا" ص ١٢٦، ١٢٧  
من كتابه (الأدب الكبير والأدب الصغير) دار الجيل - بيروت  
وهى قريبة أيضا من فكرة ابن طباطبا الذى أراد أن يكون الشاعر =

جواهره مخططة، فاذا أراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه، وربما وقع على البغية فنظم في الموضوع غير ما يليق به، والمعسكر الخيالات في هذه أجدد بطول السرد، لكون الأشياء التي في الحس أوضح من التي في التصور والذهن" (١) . فتسمى هذه المقابلة على أن ضعف هذه القوة يؤدي الى صعوبة البحث عن المطلوب المناسب ، سواء أكان الباحث عنه جواهريا ام كان شاعرا . واذا تم العثور عليه فان كلا منهما - بسبب هذا الضعف - يوظفه في غير موضعه . وتبدو المشكلة جادة بالنسبة للشاعر "المعسكر الخيال" ، حيث يكون اشد حيرة، لأن العناصر المشكلة لهذه القوة أقل وضوحا في التصور والذهن، بمعنى أن الاحساس بوجودهما الواقعي أبرز من الادراك الذهني أو الفني لها، وهذا يعني أن ثمة قاعدة يجب أن تراعى في هذه الحالة وهي الحذر من أن تكون "الأشياء

---

= " كناظم الجواهر الذي يوئلف بين النفيس منها والثلثين الرائع،

ولا يشين عقوده بأنه يفاوت بين جواهرها في نظمها وتسيقها" .

ص ٢٠ من كتابه : عيار الشعر تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام

منشأة المعارف بالاسكندرية طبعة ١٩٨٠ .

ويبدو أن حازما القرطاجني قد استند في صوغ فكرته على هذين

النصين ولكن يبقى انه جعل فكرته - رغم ذلك - نقطة انطلاق

الى تناول اساس الابداع الشعري وهو الخيال او التخيل .

(١) منهاج البلاغء وسراج الأدباء ص ٤٢ .

التي في الحس أوضح من التي في التصور والذهن". (١)

وثمة قوة ثانية تنشأ عن فعالية " الذاكرة الواعية " ، وهي ( القوة المائزة ) ، التي تختص بالتمييز بين العناصر التي انتقاها الشاعر من الذاكرة الواعية ، حيث يعمد الى توظيف الملائم للغرض الشعري المعالج بعد أن يفرق بين ما يلبق بهذا الغرض وما لا يلبق به ، ومن ثم يكون قادرا على حسن الاختيار وسلامة الانتقاء من مخزون القوة الواعية ، يقول حازم :  
" والقوة المائزة هي التي يميز بها الانسان ما يلائم الوضع والنظم والأسلوب والغرض ما لا يلائم ذلك ، وما يصح ما لا يصح " . (٢)

ومن الطبيعي أن ينتج عن التعاقب السببي لهاتين القوتين ، قوة ثالثة وهي ( القوة المانعة ) ، فهي نتيجة أو استجابة للاجراء الذهني في القوة الحافظة والاجراء العطي في القوة المائزة . وقد حددها بقوله :  
" هي التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الالفاظ والتركيبات النظمية

---

(١) السابق ص ٤٣ ، هذا التحذير يبني فكرة حازم القرطاجني - هنا - من فكرة المحاكاة ، التي تحدث عنها أرسطو ، حيث فرق أرسطو بين الحقيقة او الشيء الواقعي المادي ، صورة الحقيقة أو صورة هذا الشيء الواقعي المادي . والعمل الفني ( قصيدة ، أو مسرحية ) يعني اساسا بتصوير الحقيقة - بعد أن تمثلها الذهن واستوعبها - في صياغة جديدة مخالفة لما كانت عليه الحقيقة ، او الواقع المادي .

(٢) منهاج البلاغة وسراج الأدباء ص ٤٣ .

والمذاهب الاسلوبية الى بعض، والتدرج من بعضها الى بعض ، وبالجملة التي تتولى جميع ما تلتئم به كليات هذه الصناعة" (١).

ويقصد بهذا التحديد أن يبين أن نشاط القوة المانعة، يتعين في نهوضها باحكام النص وربطه، عن طريق ضم بعض الصيغ الجزئية المنفردة الى صيغ جزئية أخرى تقتضيها وتتطلبها، وضم عدد من التراكيب والأاليب الى أخرى تتوافق معها، وعن طريق مراعاة تحقيق نمو الفكرة واتصالها التدريجي بما يعدها من افكار. ويكون الشاعر بذلك قد نفذ فكرة النقاد الذين سبقوا حازما القرطاجنى وهي تحقيق " التئام الشعر وتوابطه" (٢) عقب الفراغ منه.

[ولم ينكح حازم القرطاجنى على فعالية هذه القوى المتملصة المتعاقبة الا ليحدد عناصر " الطبع الجيد"، أو الموهبة الشعرية الخلافة القادرة على صوغ الشعر صياغة جيدة. يقول: " وهذه القوى التي هي: الحافظة، والمميزة، والمانعة، وما جرى مجراها في احتياج الشاعر أن

---

(١) مثل أبي هلال العسكري : فقد قال : " وتخبر الألفاظ وابدال بعضها من بعض بوجوب التئام الكلام ( يقصد الشعر والنثر) ، وهو من احسن نعوته، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها مقرونة بلفقها، فان تنافر الالفاظ من اجر عيوب الكلام " ص ٤١ ، ٤٢ من كتاب الصناعتين ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلى محمد الجاوى ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ - دار احياء الكتب العربية.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأنبا ص ٤٣.

ولم ينص حازم القرطاجنى على فعالية هذه القوى المتملة المتعاقبة  
الا ليحدد عناصر " الطبع الجيد" ، او الموهبة الشعرية الخلاقة القادرة  
على صوغ الشعر صياغة جيدة . يقول : " وهذه القوى التى هى :  
الحافظة ، والمميزة والمانعة ، وما جرى مجراها فى احتياج الشاعر أن تكون  
موجودة فى طبعه . . . . هى المعبر عنها بالطبع الجيد فى هـــــ  
الصناعة" . ( ١ )

والزاوية الثانية فى تنفيذ صنعة الشعر هى تطبيق الشاعر مبدأ  
" الروية" الذى يعد عاملا مكملا لتجويد هذه الصنعة ، لكونه ينشد  
تنقيتها وتصفيتها ليصل بها الى ذروة الكمال الفنى ، وقد نص على هذا .  
المبدأ فى مجال المقارنة بين المرتجل والمروى فقال : " وماخذ القول  
فى الارتجال قريبة سهلة ، لكون ضيق الوقت يمنع من بعد المذهب فى  
ذلك . . يتخيل المرتجل ما يريد أن يقوله فى وصف الشئ ، ثم يأخذ  
فى نظم ذلك الشئ . . ويتسامح فى كثير مما يأتفق فيه المروى ، ويقبل  
ما لا يقبله المذهب المنقح ، لضيق الوقت عليه واتساعه على ذلك ، فأما  
الروية فان المباحث فيها كثيرة والمذاهب بعيدة ، لكون الزمان فيها يتسع  
لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على أصناف محاسن الألفاظ  
والمعانى ، وابداع النظم والتأنق فى احكام الأسلوب" . ( ٢ )

---

( ١ ) السابق ص ٠٤٣

( ٢ ) ص ٢١٣ - ٢١٤



القرطاجنى ( فى القرن السابع هـ ) قد عمد الى تقنيه وتقعيده بأسلوب المقارنة التوضيحية، فاذا كان " المرتجل " لشعر ما لا يتوقف للنظر فيما قاله، لأنه خاضع لطلب انفعالى وسريع فى زمن قصير لايسمح بالنظر المتأنى والمراجعة البطيئة، فان الشاعر المروى خاضع لموقف مضاد يعمل فيه النظر فى عزلة - منفردا او مخالطا - فى زمن أطول . وهو فى هذه الحالة مرتبط بنهج يعمل فى ضوءه وهو البطء والتأنى فى صنعيته .

ويترتب على اختلاف النهج عند الشعارين ان الأول (المرتجل ) " يتسامح فى كثير مما يتأنق فيه المروى " ويقبل كثيرا مما لا يقبله المهذب لضيق وقته، وأن الثانى (المروى) يذهب الى غير ذلك، لكون الزمن فى صالحه " يتسع لطلب الغايات المستطاعة" ، ومن ثم اتجه عمله فى النص الى بنائه على قيم جمالية بارزة، والتعاضد الأسباب التى تحكم النص وتربطه وبعبارة حازم القرطاجنى بناء الشعر على " أصناف محاسن الألفاظ والمعانى ، وابداع النظم، والتأنى فى احكام الألوب" .

---

= على نفسه " ، من كتاب البيان والتبيين ٩/٢ ، فهو هنا ينسى على أن هذا المبدأ يتيح لشاعر الصنعة المتأمل أن يختبر صياغة القصيدة خشية التزيد والانحراف . وقد وسع ابن قتيبة هذه الفكرة وفصلها بذكره أن (الزمن) بوجهيه المحدد والمتصل ، يتدخل فى تشكيل صياغة النص الشعري والأدبى صياغة صحيحة، يقول : " وللشعر اوقات يسرع فيها أتية ويسمح فيها أبيه، منها اول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير . ولهذا العليل تختلف اشعار الشاعر ووسائل الكتاب" من الشعر والشعراء ص ٨٧ .

وقد قوى هذه الفكرة ونماها بوضعه خطة دقيقة للشاعر المرورى ،  
تتضمن مبادئ لتجويد النسى الشعرى ، وقد مهد لها بطرح أربعة مواطن  
للبحث وهى بالترتيب .

١- موطن قبل الشروع فى النظم

٢- وموطن حال الشروع

٣- وموطن عند الفراغ يبحث فيه عما هو راجع الى النظم

٤- وموطن بعد ذلك مترخ عن زمان القول ، يبحث فيه عن معان

خارجة عما وقع فى النظم لتكمل بها المعانى الواقعة فى النظم  
وتستوفى بها اركان الانراض ويكمل بها التتام المقاصد" (١) فهو يرى أن  
الموطن الاول والثانى وهما " قبل الشروع" و " حال الشروع يعتمدان  
على قوة ضرورية اساسية فى بدء عطية الابداع الشعرى ، وهى قوة  
" الخيال المبدع" (٢) ، "Creative Imagination"

أو التخيل ، التى استوعبت منجزات  
الخبرات الأربع (الطبيعية - اللغوية - النفسية - التوثيقية) ، تلك  
المنجزات المنحصرة فى المعانى والأحاسيس والصيغ الجزئية والصور الكلية ،  
التي جرت فى عالم الواقع ، قصد الى تشكيلها فى صورة لغوية جديدة معادلة  
على اعتبار أن هذالك القوة الفعالة الناضجة تجعل الشاعر " لايعنى بتصوير

---

(١) منهاج البلاغ ص ٢١٤

(٢) الدكتور محمود الربيعى ، فى نقد الشعر ص ١٩١ .

ماهو كائن فعلا، وانما يهتم بتصوير ماينبغى أن يكون . أو بعبارة أخرى لا يصور الحقيقة الحرفية، وانما يقدم لها مقابلا حيا ممثلا ادخل في باب الحقيقة من الحقيقة الحرفية نفسها" (١)

وأن الموطن الثانى وهو (عند الفراغ) الفورى من الصياغة، يعتمد فيه الى استتارة القوة الملاحظة او (البصيرة الشعرية) (٢) poetic insight التى تسدد الى جميع جهات النص ومختلف جوانبه، اعتمادا على تلك الخبرات وأن الموطن الرابع وهو ( متراخ عن زمان القول . . . ) أى انقضا زمن غير قصر على الفراغ من الصياغة - تتعاون فيه مع قوة الشاعر الملاحظة قوة أخرى وهى ( القوة المستقصية) التى دقق بها فى تفاصيل الصنعة وجزئياتها، رغبة فى اكتمالها والوفاء بكل جوانبها الفنية، ستعينا أثناء ذلك بضروب المعارف ، وأنواع الثقافات الخاصة بصناعته . يقول فى ذلك : " فأما الموطن الاول فالغناء فيه لقوة التخيل، والموطن الثانى : الغناء فيه للقوة الناظمة، ويعينها حفظ اللغة، وحن التصرف، والموطن الثالث : الغناء فيه للقوة الملاحظة <sup>على</sup> كل نحو من الأنحاء التى يمكن أن يتغير الكلام اليها، ويعينها حفظ اللغة أيضا، وجودة التصرف والبصيرة بطرق اعتبار بعض الالفاظ والمعانى من بعض. والموطن الرابع : الغناء فيه

---

(١) السابق : ص ٤٠

(٢) السابق : ص ١٩٠

للقوة المستقصية الملتفتة، ويعينها حفظ المعاني والتواريخ وضروب المعارف." (١)

ولكن الشاعر المروى من جهة الحرص على الوفاء التام بصنعتة، ما يلبث أن ينهى بخطوة أخيرة براها مكملة لخطته الموضوعية، حيث يعرض صنعتة - التي فرغ منها - على نفسه، معطيا لها فرصة تصفيتها من الشوائب وأصدار الحكم النهائي عليها، حتى تتحقق لها السلامة، فربما احتاج النسي حينئذ الى (الحاقيات) و (ابدالات) و (تغييرات) و (حذف) . يقول :

" ويعد استقصاء وجوه المباحث في هذه المواطن الأربعة وكمال انتظام القصيدة المرواة - قد يعرضها الناظم على نفسه، فتظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه، من الحاقيات وابدالات وتغييرات، وحذف ، وقد يعرض للشاعر موضع يرى انه خلق بالتغيير او الزيادة فيتعذر عليه ما يليق بالموضع من التغيير او الزيادة فيرجى النظر فيه الى وقت آخر، وقد يعاود النظر في ذلك المرار الكثيرة، فلا يتيسر له ما يريد الا بعد معاونات كثيرة قد

---

(١) منهاج البلاغة وسراج الأدباء ص ٢١٤ . لعل حازما القرطاجني فسى هذا النص د أفاد من فكرة التعديل والتوفيق التي تستخلص من نسي ابن طباطبدا الخاص بضرورة النظر بتأن في القصيدة عقب الفراغ منها طلبا للكمال وتحقيقا للجودة . فقد حث الشاعر على أن " يتأمل فيمنه فيمنه" . وقد أدا طبعه وانتجته فكرة تبيي انتقاده، ويرم ما وهى منه" .

ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية، ص ١٩ من كتاب عيار الشعر، فمن اليسير ملاحظة بعض العناصر التي افاد منها حازم القرطاجني في نمه، ولكن لا يمكن انكار جهده في توصيف هـ العناصر وسلوكها فيما يشبه القواعد او القوانين، التي ظهرت في حديثه عن خطته المقنعة .

تطراً عليه ( عند ) معاودة النظر" (١)

وينى حازم القرطاجنى - استكمالاً لهذه الفكرة - على الفائدة الفنية المتحصلة من هذا الجهد المتواصل الذى يبذله الشاعر المروى ، فيقول :  
" ومن أصحاب الروية من يجهد فى استجداد العبارات . . والتأنق فيها من جهة الوضع والترتيب . . وأعنى بالاستجداد : الجهد فى ألا يواطئ من قبله فى مجموع عبارة أو جملة أو معنى ، وبالتأنق طلب الغايصة القصوى من الابداع فى وضع بعض اجزاء العبارات والمعانى من بعضى وتحسين هيأت الكلام فى جميع ذلك فان العبارة ، اذا استجدت مادتها ، وتأنق الناظم فى تحسين الهيئة التأليفية فيها ، وقعت من النفوس أحسن موقع ، وكذلك الحال فى المعانى فتأمل ذلك" (٢)

فالفائدة المتحصلة من هدف الشاعر المروى تنحصر فى أمرين يؤدى كلاهما الى ثالث ، الأمر الأول هو " الابتكار" الذى يتمثل فى " استجداد " التعبير أو ابتداع أساليب جديدة وطريقة ، والاختصاص به ، مما يجعله متميزاً فى ألفاظه ومعانيه عن سبقه من الشعراء ، والأمر الثانى هو " تنمية الأنا" اللغوى " على نحو سببى ، بأن يعمد الشاعر الى

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأنبا، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) السابق : ص ٢١٥ - ٢١٦.

توليد بعض الصيغ الجزئية من بعنى فى اطار العبارة والتركيب، بغرض تحقيق الترابط والاحكام لبناء القصيدة، مع مراعاته تجميل هذا البناء الكلى أو الهيئة التركيبية بالمحسن اللغوى أو المعنوى، أو بهما معا، وينتج بالضرورة عن هذين الأمرين الأمر الثالث : وهو " استجابة المتلقى " فى النهاية للنص وتأثره به لوقوعه من نفسه أحسن موقع، بسبب هذا الجهد المتواصل المتنوع، فتضيف هذه "الاستجابة" - حينئذ - الى النص الشعرى قيمة تنضاف الى تكوينه الأساسيين : " التخلق المسبب " ، و " التفتيش الواعى " على نحو ما تبين .

=====

المصادر والمراجع

- ١- أرسطو : فن الشعر : ترجمة وتحقيق د/عبد الرحمن بدوي  
النهضة المصرية ١٩٥٢ .
- ٢- اليوت (ت - س) مقالات في النقد الأثني ، ترجمة  
د/لطيفة الزيات - الانجلو المصرية .
- ٣- اليوت (ت - س) مقالات في النقد الأثني ترجمة د/ ابراهيم  
حمادة - دار المعارف .
- ٤- بشر بن المعتمر : صحيفته ص ١/١٢٨ من كتاب البيان  
والتبيين للجاحظ ، و ص ١٣٥ من كتاب الصناعتين  
لابي هلال العسكري ، و ص ١/١٨٦ من كتاب العمدة  
لابن رشيق .
- ٥- الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق : عبد السلام هارون ،  
الخانجي بصر ١٩٦٨
- ٦- حازم القرطبي : منهاج البلغاء وسراج الأديب - تحقيق محمد  
الحبيب بن خوجه ، دار الغرب الاسلامي - بيروت -  
الطبعة الثالثة .
- ٧- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده . تحقيق  
محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت -  
ط (٤١) ١٩٧٢ .
- ٨- ابن سلام الجعفي طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد  
شارك ط المعنى ١٩٧٤ .

المصادر والمراجع

- ١- أرسطو : فن الشعر : ترجمة وتحقيق د/عبد الرحمن بندي  
النهضة المصرية ١٩٥٢ .
- ٢- البوت (ت - س) مقالات في النقد الأثبي ، ترجمة  
د/لطيفة الزيات - الانجلو المصرية .
- ٣- البوت (ت - س) مقالات في النقد الأثبي ترجمة د/ ابراهيم  
حمادة - دار المعارف .
- ٤- بشر بن المعتمر : صحيفته ص ١/١٣٨ من كتاب البيان  
والتبيين للجاحظ ، و ص ١٣٥ من كتاب الصناعتين  
لابي هلال العسكري ، و ص ١/١٨٦ من كتاب العمدة  
لابن رشيق .
- ٥- الجاحظ: البيان والتبيين - تحقيق : عيد السلام هارون ،  
إلخانجي بصر ١٩٦٨
- ٦- حازم القرطبي : منهاج البلاغء وسراج الأدياء - تحقيق محمد  
الحبيب بن خوجه ، دار الغرب الاسلامى - بيروت -  
الطبعة الثالثة .
- ٧- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده . تحقيق  
محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت -  
ط (٤) ١٩٧٢ .
- ٨- ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد  
شارك ط المنى ١٩٧٤ .

- ٩- ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر، تحقيق د/ محمد زغلول.  
سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ط ١٩٨٠.
- ١٠- عبد الله بن الحقق : الأئب الكبير والأئب الصغير . دار  
الجيل - بيروت.
- ١١- ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر،  
ط (٣) دار التراث بالعربي ١٩٦٧
- ١٢- د/ محمود الربيعي في نقد الشعر ، دار المعارف بمصر ط ١٩٧٣
- ١٣- د/ محمد الزبيعي مقدمة كتاب : حاضر النقد الأئبي-  
مقالات في طبيعة الأئب ل جورج ستيرين واخريسن  
ط ١٩٧٥.
- ١٤- د/ محمود الربيعي نصوص من النقد العربي طبعة (١)  
دار المعارف ١٩٧٧.
- ١٥- د/ محمود الربيعي الناقد العربي في مفترق الطرق مجلة  
العربي - الكويت ، عدد فبراير ١٩٨٦.
- ١٦- ابو هلال العسكري : كتاب الصناعتين تحقيق: محمد ابو الفضل  
ابراهيم وعلى محمد البجاوي ط(١) دار احياء الكتب  
العربية ١٩٥٢.
- ١٧- د/ يوسف حسين بكار . بناء القصيدة في النقد العربي القديم  
في ضوء النقد الحديث - دار الاندلسي . بيروت ط ٢  
١٩٧٢